أهمية العلم الشرعي وثمراته.

الأستاذة زينة مومني

إن رسالة الإسلام جاءت لهداية البشرية قاطبة لسواء الصراط، كما جاءت لإخراج الناس من كل مظاهر الجهل والضلال والسير بهم إلى محراب العلم والهداية.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الملك: 22.

هذا الصراط المستقيم الذي لا يمكن أن نتلمس ملامحه إلا بالتسلح بسلاح العلم الشرعي: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: 9؛ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: 5.

ولا شك أن من مظاهر عبادة الله عز وجل الاستخلاف في الأرض والسعي إلى إعمارها: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: 30.

ولا يمكن تحقيق هذه الغاية إلا بإتقان وسائلها وهي العلوم الشرعية، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ محمد: 19.

إن العلم الشرعي يتضمن قوانين وضوابط، تقوم علاقة الإنسان بربه عزّ وجل فيعبده ويدعو إليه على بصيرة.

وتنظم وترشد علاقة البشر بعضهم البعض، فتستقيم حياتهم، فنجد أن العلوم الشرعية بتنوعها تنظم وتقوم معتقدات المجتمعات وسياستها، وأنظمتها الاجتماعية الاقتصادية

وحتى الثقافية بما يتوافق مع مرجعيتها الأساسية المتمثلة في الكتاب والسنة المطهرة... هذا كله ضمن ما يسمى بالشريعة الإسلامية، والتي تعتبر العلوم الشرعية وعاء لها.

قال الله عز وجل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: 48. تلك الشريعة هي حكم الله الذي ارتضاه لعباده، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: 3.

أي منهج حياة... أيرضى الله تعالى لنا منهجا وحكما ونتنكر له؟ إن هذا لعمرك هو الخسران المبين.

قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: 50، فبالأحكام الشرعية تستقيم مصالح البشر وتتم صناعة الحياة، وهذا عن طريق تعلم وتطبيق العلوم الشرعية المختلفة.

تعريف العلوم الشرعية:

يطلق على العلوم الشرعية، اسم علوم الشريعة، والشريعة لغة: ((مشرعة الماء وهي مورد الشاربة، والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين وقد شرع لهم أي سنّ. وبابه قطع. وشرع في الأمر أي خاض وبابه خضع...)).

والشريعة اصطلاحا: ما شرعه الله عزّ وجل لعباده من العقائد والأحكام وإنما سميت بذلك، لأن الناس يأخذون حظوظهم منها.

وتسمى علوم الشريعة أيضا بالملة. والملة: اسم لما شرع الله لعباده بواسطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة. وإنما سميت بالملة لاجتماع الناس عليها.

قال الجرجاني: ((الدين والملة، متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار. فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسل، والمذهب إلى المجتهد)).

وتسمى علوم الشريعة أيضا بالناموس، والناموس: هو الملك النازل

بالوحي وهو جبريل عليه السلام.

والناموس لغة: صاحب السر، المطلع على بواطن الأمور، أو صاحب سر الخير أي الرجل الذي يطلعه دون غيره على باطن أمره.

والناموس هي البعوضة قال في مفتاح السعادة: ((وهي تصوت (البعوضة) في أذن الإنسان فشبه بها صاحب السر لتكمله في أذن صاحبه، فيستعار له لفظ الناموس ثم نقل إلى الملك النازل بالوحي)).

أنواع العلوم الشرعية وأقسامها:

يقسم العلماء العلوم الشرعية باعتبارات كثيرة:

أولا: باعتبار طبيعتها إلى علوم مقاصد وعلوم وسائل:

قال في مفتاح السعادة: (اعلم أن العلوم الاعتقادية، إما متعلقة بالنقل أو فهم المنقول أو تقريره أو تشييده بالأدلة أو استخراج الأحكام المستنبطة.

فالنقل إن كان بما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي فهو علم القراءات، أو بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة فعلم رواية الحديث، وفهم المنقول إن كان من كلام الله تعالى فعلم تفسير القرآن، وإن كان كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم رواية الحديث.

والتقرير: إما الآراء فعلم أصول الدين: أو الأفعال فعلم أصول الفقه، أو استخراج الأحكام من أدلتها فعلم الفقه).

ثانيا: باعتبار حكم تعلمها إلى علوم فرض وعلوم نقل، أي ليست على درجة واحدة من حيث وجوب تعلمها.

يقول ابن الأثير: (وعلوم الشريعة على اختلافها تنقسم إلى فرض ونقل والفرض ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، ولكل واحد منها أقسام وأنواع).

أولا: العلوم الشرعية المندرجة ضمن فروض العين:

وهي التي تتضمن ما لا يسع المسلم جهله من العلوم، باعتباره واجبَ التعلم على كل مكلف مسلم بالغ عاقل، بحيث يأثم من جهله مما تستقيم به أمور دينه ودنياه كأركان التوحيد ونواقضه. وكذا ما تستقيم به عبادته من أمور الطهارة

وأحكام الصلاة والزكاة والحج... على قاعدة ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

ثانيا: العلوم الشرعية المندرجة ضمن فروض الكفاية:

وتتضمن ما لا تشترك معرفته لكل العامة بل تتعين معرفته للخاصة من العلماء، أما تعلمه من قبل العامة فهو على سبيل الاستحباب. كقضية التبحر في العلوم والوقوف على اختلافات العلماء. مما لا يترتب على جهله إسقاط ركن من الأركان أو فرض من الفروض.

كما اعتبر العلماء أن تعلم اللغة العربية من فروض الكفاية يقول الإمام السيوطي: ((ولا شك أن علم اللغة من الدين لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة))، وعن عمر بن الخطاب قال: ((لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة)).

ويقول ابن فارس: ((إن العلم بالعربية واجب على كل متعلق من العلم والقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لا غنى لأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نزل بلغة العرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي، فمن أراد ما في كتاب الله عزّ وجل، وما في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من كل كلمة عربية أو نظم عجيب لم يجد من هذا العلم بدا)).

يقول أبو زيد المقرئ الإدريسي: ((والعامل الأخير هو الذي دفع المهتمين بعلوم القرآن إلى أن يعتبروا النحو أحد العلوم الشرعية المساعدة، ويعتبر تعلمه عبادة، ويتجلى هذا أكثر حين تعلم أن مادتي النحو والبلاغة كانتا متصدرتين لقائمة البرامج التعليمية في المدارس الإسلامية بمختلف مناطق العالم الإسلامي، طيلة ثلاثة عشر قرنا)).

ثالثا: باعتبار موضوعها إلى: العلوم المتعلقة بأصول الدين وعلوم متعلقة بالفروع:

يقول ابن الأثير: ((... وبعضها أصول وبعضها فروع، وبعضها مقدمات وبعضها تتمات)).

أما النوع الأول: فيتمثل في علم العقيدة وعلوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث الشريف والسنة النبوية.

1- علم العقيدة وموضوعه:

أركان التوحيد ومعرفة أسماء الله

الحسنى وصفاته العلى.

2- علوم القرآن الكريم وتفسيره وموضوعها: القرآن الكريم وكل ما يتعلق به من أحكام الترتيل والتجويد وأنواع القراءات والتفسير وأسباب النزول والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ...

3- علوم الحديث والسنة المشرفة وموضوعها: كل ما يتعلق بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية ودراية.

فعلم الحديث رواية هو: ((علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، وكذا ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم، ورواية المنقول وضبطه وتحرير ألفاظه)).

أما علم الحديث دراية فيعرفه علماء الحديث بأنه: ((علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وما يتعلق بذلك من معرفة اصطلاح أهله))، وعرّفه ابن جماعة بأنه: ((علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن)).

وحول هذا يدور تعريف الحافظ ابن حجر العسقلاني فيقول: ((هو معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى معرفة حال الراوي والمروي)).

أما النوع الثاني: وهو العلوم المتعلقة بالفروع فمنها:

1- **الفقه الإسلامي:** وموضوعه: الأحكام الشرعية من واجبات وسنن ومستحبات ومباحات ومكروهات ومحرمات.

2- **علم أصول الفقه:** وموضوعه: كيفية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

ثمرات العلم الشرعي:

من أعظم ثمرات العلم الشرعي تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة وذلك من خلال:

- عبادة الله عزّ وجل عن بيّنة: قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: 110.

- إقامة معاملات الناس على أساس المصلحة الشرعية على القاعدة

الشرعية: أينما كانت المصلحة فثمّ شرع الله.

– ومن أعظم ثمرات العلم الشرعي العمل به: بشرطيه الأساسيين الإخلاص والصواب.

إذ المقصود الأول من العلم هو العمل به، فالله سبحانه وتعالى ما أنزل الكتب إلا ليعمل بما فيها ولا أرسل الرسل إلا ليتبعوا وهذا شأن آخر كتاب أنزل.

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة هما دستور الأمة ومنهاج حياتها، وهذا ما وضحه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: **((تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي))**، فالتمسك بهما هو عين العمل بما فيهما.

كما جاء في الحديث العظيم في بابه **((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))**.

كما أن اقتران الإيمان بالله عزّ وجل وبآياته بالعمل، قضية ثابتة، مبثوثة في القرآن والسنة وإليك نماذج في الآيات التالية:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: 82؛ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل: 110. فقرن التوبة بالإصلاح.

وقرن قضية كبرى كقضية الكفر وعدم الإيمان بالله بقضية العمل المتمثلة هنا في عدم إطعام المساكين كسببين في استحقاق العقاب يوم القيامة فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ الحاقة: 33 – 37.

حتى الجنّ أدرك هذه الحقيقة: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ الجن: 1 – 2.

وفي آيات الحجاب كان تكليف النساء به على وصف أنهن مؤمنات وبمقتضى الإيمان قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

النور: 31.

وفي آية أخرى قال الله عزّ وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ ﴾ الأحزاب: 59.

الآثار العلمية المترتبة على الجهل بالقضايا الشرعية وعدم العمل بها، المواريث، الطلاق، البيوع، الخطبة، والزواج والعدة نموذجا:

1- ترك العمل بأحكام الميراث:

لا يخفى على أحد الآثار السلبية المترتبة على ذلك من ضياع الحقوق وأكل أموال الناس بالباطل فضلا عن التخبط في النزاعات والشقاق، وما يترتب عن ذلك من أمراض القلوب المتمثلة في الحقد والغل بين المتخاصمين والتي تساهم بدورها في تمزيق الروابط الاجتماعية والأسرية.

2- ترك العمل بأحكام الطلاق:

إن ترك العمل بالأحكام الشرعية المتعلقة بالطلاق له نتائج كارثية على الأسر وبالتالي على المجتمعات، فعدم الامتثال لشروط الطلاق السني الرجعي والبائن (بينونة صغرى أو كبرى) وانتشار الطلاق البدعي بين الأسر، وذلك بأن يطلق الرجل زوجته وهي حائض أو في طهر مسّها فيه، أو بأن يطلقها بالثلاث في مجلس واحد، فتقع الأسر المسلمة في حرج كبير بتخبطها بين الحلال والحرام في العلاقات الزوجية.

3- ترك العمل بأحكام البيوع:

أما الآثار السلبية المترتبة على ذلك فلا يمكن تجاهل خطرها على الفرد والمجتمعات، وذلك من خلال الوقوع في البيوع المحرمة بسبب الغش والتدليس أو سبب بيع السلع المحرمة المفسدة والمهلكة للأفراد والمجتمعات، أو التورط في أكبر الكبائر وأشنع المحرمات على الإطلاق في مجال المعاملات والمقصود هنا المعاملات الربوية التي كانت وما زالت تنخر جسد الأمة وتستنزف اقتصادها وتمحق بركات رزقها، بل ها هو الاقتصاد العالمي ينهار بسبب هذه التعاملات الربوية، وبدأت الشركات العالمية العملاقة في مراجعة حساباتها فيما يتعلق بالاقتصاد ونظام البنوك والمصارف.

4- ترك العمل بأحكام الخطبة والزواج و العدة:

ولا شك أن في ذلك

قمة التخبط في المشاكل الأسرية وما يترتب عن ذلك من تفكك أسري وعدم تحقق الاستقرار النفسي والعاطفي لدى الأبناء. كيف لا يكون ذلك والأمر متعلق بحدود الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ البقرة: 229؛ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ الطلاق: 1؛ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 230.

واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم البعد عن أحكام الشرع في الخطبة والزواج موجبا للفتنة والفساد كما جاء في الحديث: ((**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**)).

5- ترك العمل بأحكام الزي الشرعي للنساء: والنتيجة كما هو مشاهد سواء في الشوارع أو عبر وسائل الإعلام هي الانتشار الفظيع لمظاهر العري والسفور والاختلاط والانحلال الخلقي والبعد بذلك عن مظاهر الحياء والعفة، حتى تتحقق أهداف المؤامرة ضد المرأة والتي تهدف إلى الحط من قيمتها وكرامتها وتبعدها بكل الوسائل عن إنسانيتها ودورها الحضاري.

وتعتبرها في المقابل مجرد أداة لترويج أفكارها وتلبية غرائز أصحابها، ولم تكتف تلك الدعوات بالتحرر من كل القيم والأخلاق والتبرأ من كل ما هو جميل وطاهر بذلك كله، بل امتد مشروعها إلى العبث حتى بالحجاب، أو ما يسمى اليوم بالحجاب، فإن كثيرات ممن ترتديه تطبق فيه كل شيء ما عدا شروط الحجاب الشرعي.

جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**)).

الدعوة إلى التجديد في العلوم الشرعية:

لا شك أن قضية التجديد في العلوم الشرعية من القضايا الشائكة كونها من القضايا المتنازع فيها بين الإفراط والتفريط.

بين من يرفع لواء التجديد في كل القضايا بما في ذلك الأصول والفروع والثابت والمتغير من جهة، وبين من يدعو إلى الجمود وعدم التغيير حتى في

القضايا المتعلقة بالفروع والقضايا الاجتهادية، بل نجد بعض هؤلاء يتمسك حتى بالمصطلحات القديمة، والتي يصعب فهمها فتتكون بذلك حواجز بين الشباب المعاصر وتعلم العلوم الشرعية.

فلا بد في هذا المقام من التوسط في قضية التجديد في العلوم الشرعية وذلك من خلال الدعوة إلى التجديد في طريقة الطرح بطريقة حديثة ومشوقة، مع ضرورة إدخال وسائل التكنولوجيا الحديثة. وفي الوقت نفسه فتح باب الاجتهاد لمن يملك أدواته من علماء الأمة وذلك طبعا بما لا يمس بثوابت الدين وأصوله أي يكون في الفروع بما يتناسب مع التغيرات والقضايا المستجدة.

مع التأكيد على محاولة استخدام المصطلحات السهلة قصد تسهيل تناول العلم الشرعي أمام المتلقين في العملية التعليمية.

وقصد التسهيل دائما لأبنائنا الطلبة المقبلين على النهل من العلوم الشرعية نسوق هذه العناوين ثم نردفها بنصائح تنير دربهم.

كتب لا غنى عنها لطالب العلم:

وهذه مجموعة من الكتب ارتأيت أن أختارها من بين كتب كثيرة تفيد طالب العلم في مشواره التحصيلي:

في آداب طالب العلم:

1-"جامع بيان العلم وفضله لا بن البر"

2-"تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة،

3-"حلية طالب العلم" لبكر أبو زيد.

في الفقه:

1- المذهب المالكي:

- الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.
- الفقه المالكي وأدلته للحبيب بن طاهر.

2- المذهب الحنفي: الهداية المرغناني.

3- المذهب الشافعي: المنهاج للنووي، والمذهب للشيرازي

4- **المذهب الحنبلي:** العمدة لابن قدامة المقدسي، ثم الكافي والمغني.

في الحديث:

متون أدلة الأحكام:

1- عمدة الأحكام المقدسي.

2- بلوغ المرام لابن حجر.

3- المنتقى بالمجد أبي البركات لابن تيمية.

في السيرة:

1- مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.

2- الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير.

3- سيرة ابن هشام.

4- الرحيق المختوم للمباركفوري.

5- فقه السيرة : للشيخ محمد الغزالي.

6- فقه السيرة: للشيخ البوطي.

في التجويد:

العمدة فيه على التلقي مباشرة من أفواه المقرئين ثم الاستعانة في أحكام التجويد النظرية على كتب مختصرة كالتجويد الميسر لعبد العزيز القارئ.

في النحو والصرف:

1- كتاب الأجرومية للأجرومي.

2- ملحة الإعراب للحريري.

نصائح خفيفة لطلبة العلم الشرعي:

1- **الإخلاص في طلبه:** ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: 162 – 163؛ وجاء في الحديث: **"إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمة فعرفها... إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار..."**

2- **الحرص على العلم الشرعي على أيدي معلمين أكفاء:** متقنين لما يعلموه، وهذا ما اصطلح عليه علماؤنا

بمسألة أخذ العلم من أفواه الشيوخ، والبعد قدر الإمكان عن أخذ العلم مباشرة من بطون الكتب. لما قد يسبب هذا الأخذ المباشر دون السماع من الشيخ أو العرض عليه من إمكانية الوقوع في التصحيف إما في المعنى أو في المبنى ويتأكد هذا الأمر أكثر للمبتدئين.

3- استخارة الله عز وجل: فيما يريد أن يقبل عليه الإنسان من هذه العلوم، ثم استشارة أهل العلم والوالدين في ذلك فما خاب من استخار ولا ندم من استشار.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: **((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة في القرآن... إذا همّ أحدكم بشيء فليركع ركعتين ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب... إلى آخر الحديث))**.

4- حري بطالب العلم الشرعي أن يوافق قوله فعله: فهو يمثل القدوة الحسنة لغيره من الناس لكي يكون علمه حجة له لا عليه. فكيف بمن يدرس العلم الشرعي ولا يقيمه في سلوكه؟ إن ذلك لعمرك لعمل مشين، يا أيها المعلم غيره هل كان لنفسك ذا التعليم...

إن على طالب العلوم الشرعية مهمة لا يستهان بها، هي مهمة تبليغ العلم الذي يحمله لغيره، وهي أمانة بين يديه فلينظر كيف يبلغ أمانة الله لعباد الله. جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"نضر الله أمرؤا سمع شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع"**؛ وحديث: **"من سئل عن علم علمه ثم كتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار"**.

5- الحذر من الانسياق وراء الدعوات التي تقلل من شأن العلوم الشرعية ومن شأن حاملها: فلا يعدو ذلك إلا أن يكون سحابة صيف توشك أن تنقشع، ونتذكر دائما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"**، وما أجمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **"اللهم فقهه في الدين"** فكان ثمرة هذا الدعاء أن تبوأ عبد الله بن عباس رضي الله

عنهما مرتبة مشرفة إلى قيام الساعة، ولقب بحبر هذه الأمة.

6- وأخيرا لا تسمح لنفسك أخي الطالب أن ترتكب أيا من الأخطاء التي لا تليق بمن تعلم العلم الشرعي، كارتكاب الأخطاء في الآيات القرآنية (نطقا أو كتابة)، أو اختصار كتابة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بحرف "ص" ذلك لعمرك لخطأ جسيم.

الخاتمة: إن العلم الشرعي هو العلم بالدين والدنيا، فهو من أفضل القربات إلى الله عزّ وجل لكونه مرتبطا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة: **"من يرد الله به خيرا فقهه في الدين"**.

وبه يتحقق التكريم في الدنيا والآخرة، يقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات: 13، وهل تدرك التقوى إلا بالعلم بأحكام الله والعمل بها؛ بل هو مقياس الأفضلية وتمحيص معادن الناس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم، فقالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، فقالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"**؛ وفي رواية إذا فقهوا أي أعلموا أحكام الشرع.

إن تعلم العلوم الشرعية بالإضافة إلى أنها من أفضل القربات إلى الله عز وجل فإنها تمكن الطالب من التبحر في مختلف العلوم الشيقة والممتعة، اسألوا إن شئتم من أكرمه الله تعالى بدراسة علم الحديث الشريف، هذه المتعة التي لا يستطيع أن يصفها إلا من ذاق حلاوتها، ومن درس علم التجويد والتفسير وغيرهما، بل اسألوا من أكرمه الله تعالى بحفظ القرآن الكريم، وبأنه سيلبس أبويه تاج الكرامة يوم القيامة.

إن طلبة العلم والله! في نعمة لو علمها الملوك لقاتلوهم عليها بالسيوف.■

ملاحظة: للموضوع مراجع